وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـــــة تكريت
كلية العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين

المرحلة : الدكتوراه
المادة : الفكر الإسلامي
محاضرة : أسباب الإلحاد

أسباب الإلحاد

محاضرة للأستاذ الدكتور : محمد هادي شهاب التكريتي

١. السبب التاريخي الحضاري .

يتمثل هذا الدافع فيما سبق ذكره من طغيان الكنيسة ضد العلماء والمفكرين الذين أثبتوا خطأ نظريات الكنيسة العلمية ، كنظرية بطليموس التي أبطلها كوبرنيكوس فحُكِمَ عليه بالإعدام حرقاً ، ولكنه مات في السجن قبل تنفيذ الحكم ، ثم تبعه براون الذي نالته يد السلطة الكنسية ، فقُتِلَ تحت ملاحظة "عدم إراقة قطرة دم" أي : الموت حرقاً ، وغيرهما من المفكرين والعلماء .

كل ذلك أدى إلى تبرير الملحدين العداءَ الكبير للدين الذي كان عدواً للعلم والعلماء بزعمهم ، وبسبب سوء استخدام العلم من قِبَل الكنيسة .

فضلاً عن الفساد الأخلاقي للرهبان والراهبات ، والانحراف الجنسي الذي جعلَ أغلب الناس ينبذون هذه السلطة الفاسدة ، وهو بالتأكيد من دوافع نشر الإلحاد في مواجهة لكل هذا .

٢. السبب الاقتصادي .

يتمثل في ظهور موجة الإلحاد الشيوعية التي نادت بحرية الفقراء والمحرومين الذين انتزعت الكنيسة منهم أسباب عيشهم ، وأكلت قوتهم ، في حين يرى العالم كله البذخ الذي كان يعيش فيه رجال الدين .

في محاولة للشيوعية الفاسدة إلى انقاذ الناس من هذه السلطة الظالمة ، والإتيان بفلسفة اقتصادية تُساوي الناس جميعاً في الرزق ، والعيش بطريقة إلحادية لم ينل منها المظلومون سوى الوعود الكاذبة ، لأن حال الفقراء لم يتم إصلاحه ، سوى ظهور الطبقية والفوقية ، وسحق طبقة العمال الكادحة ، سحقهم أخلاقياً واقتصادياً واجتماعياً ، ومع ذلك ما زالت الشيوعية الملحدة تنادي بحرية الفقراء ، ومساواتهم دون جدوى .

٣. سبب علمي ومعرفي .

(وكان مما شجَّع الملاحدة على إحلال نظرياتهم محلّ الدين إضافةً إلى طغيان رجال الكنيسة تلك الخرافات والتناقضات التي ملئت بها عقيدة النصارى –المحرَّفة, وإلى ما زعموه من وصولهم إلى النتائج التي تدل على هذا حسب افتراءاتهم في اكتشافاتهم الحديثة؛ مثل: زعمهم أنَّ مادة العالم أزلية، أي: إن العالم ليس في حاجة إلى إله خلقه, وقد كذَّب الله هذا الافتراء في القرآن الكريم في أكثر من موضع وافتراضهم لا يقبله العقل ولا يقره الواقع) ([1])

لقد تمثل هذا السبب بضعف الجانب المعرفي كما أسلفنا ، وهو ما أدى إلى ولوج أفكار الإلحاد الى البلاد التي تعاني من انتشار الجهل وضياع الحقوق ، فضلاً عن قصور

([1])المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها / ٢ :١١٤٣ .

الجانب الدعوي ، وعجز المناهج والمدارس الدينية عن الوصول الى عامة الناس ، بسبب عجز الفهم وسطحية التفكير وسذاجة النتائج .

٤. سبب عسكري .

كان للهزيمة العسكرية للدول الاسلامية الأثر الكبير في دفع الالحاد الى تحقيق مآربه الخبيثة ، فالحروب والصراعات من أبرز أسباب الأزمات الفكرية ، وإن ما تعرض له العالم الاسلامي من هزيمة عسكرية من قبل الغزو الأوربي ، كان من عوامل تخلخل التوازن العقدي في المجتمع الإسلامي ودخول المفاهيم المادية التي تغنّى بها الملحدون لتجميد القوة المادية ، ورفض كل ما هو غيبيي ، حتى باتت المجتمعات الإسلامية تابعة للمستعمر الأوربي .

(ولما كانت هذه الدول تطمع في الحصول على ما تريد بأبخس الأثمان أو بلا ثمن أصلاً فإنها استخدمت قوتها العسكرية النامية للحصول على ما تريد. ولما كان العالم الإسلامي في غاية التخلف والفقر والضعف العسكري والسياسي، فإنه لم يصمد طويلاً أمام الهجمة الأوربية الاستعمارية، وكان للهزيمة العسكرية التي مني بها المسلمون أمام الغزو الأوربي أثرها البعيد في زلزلة العقائد الإسلامية، وانحسارها أمام المد الإلحادي الذي حمله المستعمرون الأوربيون، وطفقت الشعوب الإسلامية، تقلد المستعمر الأوربي وتتشبه بأخلاقه وعاداته، وتدخل في عقيدته الإلحادية ظناً منها أن الأوربيين لم يصلوا إلى القوة إلا برفضهم للدين، وكانت هذه خطيئة جديدة وسبباً آخر أسهم في الظاهرة الإلحادية العالمية.) ([٢])

([٢])موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة / ١٥٠ .

٥. سبب تربوي .

يُعد سوء الجانب التربوي وانشغاله بالمعطيات الرمزية للتوجيه والبناء سبباً كبيرا من أسباب ضياع جيل الشباب ، وارتمائهم في احضان الإلحاد ، في محاولة لسد ثغرة النقص ، فضلاً عن اتصال ضعفاء الايمان من الشباب بالملحدين ، ممن أفسدوا الايمان والعقيدة .

ولا ننسى غياب القدوة الصالحة ، سواء في البيت ، أو في الدراسة ومحل العمل وهو ما يؤدي الى سهولة الوقوع في شَرَك الملحدين .

٦. سبب نفسي .

تكمن أغلب دوافع الدخول الى عالم الالحاد في أسباب وعقد نفسية عقيمة لا يمكن علاجها بسبب الاحباط الذي يعيشه المريض ، فضلاً عن اليأس والهروب من الواقع وغيرها من ضغوطات حياتية ، وتقلب الأمزجة والمشاعر ، فلا يمكن الثبات على الإيمان وإنما التأرجح بين الايمان والكفر وبين الدين والالحاد ، وقد يتبنى المريض أفكاراً مخالفة للمجتمع وإن كانت إلحادية .

ومن دوافع الإلحاد النفسية :

السعي الى لفت انتباه الآخرين : (فالملحد الذي تطغى عليه هذه السمة ، ستكون نسبة تمسكه بالإلحاد أو تراجعه عنه بناءً على قوة رغبة التميز لديه ، وليس للنظر العقلي)

ومن أكبر الأسباب المؤدية للإلحاد في التاريخ البشري : رغبة الانسان في التخلص من القيود التي تفرضها عليه الأديان بزعمه ، وهو ما نشخصه عند من لا يقبل بالتقيد والالتزام الديني والاجتماعي ، بل إنهم يطغون في استخدام هذه الحرية الى درجة التعالي على الأوامر الإلهية ، بحجة عدم قدرة الانسان على مسايرة هذه الأخلاقيات التي ضعت من

اجل اغراض لم يقتنعوا بها ، وبالتالي كفروا بها وجحدوا كل هذه الحقائق والبراهين التي بين أيديهم ، فالملحد يسعى الى عصيان الله تعالى عمداً ، لأنه لا يستطيع فعلا الإلتزام بالتعاليم الدينية القويمة ، فيجد في الإلحاد متسعاً لإشباع رغباته وممارسة ما تمليه عليه شهواته الدنيئة ، ويجهد نفسه والآخرين في الاقتناع التام بما يرفضه من ثوابت ، ليعيش كالحيوان الذي فقد عقله ، وساير رغباته ، وبالتالي يصف المخالفين له بالرجعية والتخلف والجهل .

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـــــة تكريت
كلية العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين

المرحلة : الدكتوراه
المادة : الفكر الإسلامي
محاضرة : تعريف الإلحاد

تعريف الإلحاد

محاضرة من إعداد الدكتور محمد هادي شهاب التكريتي

تعريف الإلحاد :

الإلحاد في اللغة : مصطلح مشتق من الفعل لَحَدَ .

قال ابن فارس : (اللام والحاء والدال ، أصل يدل على الميل عن استقامة ، يقال :

ألحدَ الرجُلُ ، إذا مال عن طريق الحق والايمان)

وإنما سُمي اللحدُ لحداً ، لأنه ميل به في أحد جولي القبر

والملحد : العادل عن الحق ، الذي جاء بما ليس فيه .

قال الزبيدي : (الملحد : الذي لا يؤمن بالآخرة)

أي أنه يفضي الى الميل الكامل عن طريق الحق القويم ، والكفر بالآخرة وبالرب العظيم ، وعمل كل ما يوهن عرى الإيمان ، من أجل الفوز بملذات الدنيا كلها بعد رفض القانون الإلهي ، وإنكاره ، والاعتراض على جميع الشرائع الأخلاقية الربانية .

الإلحاد اصطلاحاً :

تيار فكري يتبنى إنكار وجود الله تعالى ، ويفسر عالم ما وراء الطبيعة من الغيبيات بالخرافات والأوهام .

(وما من تهمة كانت أكثر تداولاً من الإلحاد ، ففي الماضي يكفي للمرء حتى يتهم بهذه التهمة أن لا يشاطر الناس الآراء السائدة والمعتقدات الرسمية مهما تكن فاسقة أو فاحشة .)

فمثلاً سقراط : اتُهِمَ بالإلحاد وحكم عليه بالموت ، بالرغم من قوله بوجود إله واحد ، وكذلك افلاطون وابن سينا وديكارت ، لم يسلموا على اختلاف مذاهبهم من تهمة الإلحاد ، لمخالفتهم آراء أهل زمانهم .

يقوم منهج الإلحاد والملحدين على إنكار الخالق بمنتهى الوضوح ، حيث يجعل المادة مبدأ الحياة ، وأساس تكوين الكون وجميع المخلوقات ، عن طريق الإيمان بأزلية المادة وأبديتها ، وإنكار كل ما غاب عن الحس .

أما الإنسان عندهم ، فهو مجرد آلة مادية متكونة من التفاعلات الكيميائية ، تتحكم في أموره قوانين الطبيعة المادية .

نشأة الإلحاد

الإلحاد في الماضي .

بدأ الإلحاد في القدم عند الفلسفة اليونانية التي كانت تؤمن بتعدد الآلهة ، حيث تم ربط كل آلهة بظاهرة طبيعية ، ظنّاً منهم أن للزرع آله ، وللبحر إله ، وللحرب إله وللسلام إله .

ثم إننا نلاحظ الفيلسوف اليوناني "ديمقريطس" قد كفر بكل هذه المباديء عن طريق مذهبه الذري .

حيث زعم أن الكائنات عبارة عن مادة وحركة ، متألفة من ذرات متجانسة ، مع القول بأزلية الذرات وأبديتها ، لأنها متحركة بذاتها ، دون تدخل قوة غيبية خارقة.

(ويعرض تراث الفلسفة اليونانية أمامنا ألواناً من الصراع الفكري أيام ازدهارها عند اليونان ، فنجد فيه الكلمة المؤمنة ، كما نجد الكلمة الملحدة ، ثم الحيرة التي انتابت جماعة منهم ، فهامت في بحار من الجدل والعبث واللهو بالألفاظ ، وهم الذين عُرفوا باسم السوفسطائيين ، ثم ارسطو الذي نادى بالمحرك الأول لهذا العالم ، ومن قبله أستاذه وصديقه أفلاطون ، الذي أغرق الفكر الفلسفي بنظرية المثل ، وبنى العالم بأسره خلف الطبيعة ، وجعل هذا العالم الغيبي هو الأصل الأصيل لهذا الوجود)

وإليك قول ديمقريطس الذي يؤكد فيه على قدم الطبيعة : (إن علل الأشياء التي تأتي الى الوجود ليس لها بداية ، ولكن من زمن لا متناهٍ سحيق ... ومن ثَمَّ فإن العالم يبقى زمانياً بدون بداية ، وبدون نهاية)

لقد أثارت أفكاره إعجاب الكثير من الملحدين ، والذين تبنوا أزلية المادة ونفي القانون الإلهي ، فضلاً عن رفض الأخلاق ، ونشر الإباحية المطلقة .

أما في العصر الروماني :

فكان الفيلسوف الروماني لوقريطس في أوائل القرن الأخير قبل الميلاد أبرز من نادى بأفكار اليوناني ديمقريطس ، حيث نشر أفكاره ، وأشاعَ مبادئه ، وقال بمادية الروح والعقل ، فضلاً عن الإنكار المطلق لوجود خالقٍ مبدع لهذا الكون .

وفي عصر الجاهلية في بلاد العرب :

كانت شرارة الإلحاد قد انطلقت عند الدهرية الذين قالوا بقدم العالم وأزليته ، وأنكروا الخلق والبعث والنشور ، حيث جاءوا بفكرة الطبع المحيي ، والدهر المفني .

وقد سُمُّوا بالدهرية لإضافتهم النوائب كلها الى الدهر ، فَسّبُّوا الدهر بحجة أنه من جاء بالمصائب والمشاكل الى الحياة ، فكانت نسبة هذه القوة الى الدهر بمثابة تعطيل لقدرة

الإله الذي لم يؤمنوا به أصلاً ، في حين نجد استخدام مصطلح الإلحاد يطلق على من لم يتبع ديناً .

وبالفعل فإننا كثيراً ما نجد في الكتب المقدسة ذكر فئات من الملحدين والكافرين بالدين وبيوم القيامة ، في حين يؤمن الباقون بآلهة على شكل اصنام غالبا ما تتم صناعتها بأيديهم .

وعندما أصبح الإسلام الدين الرسمي للبلاد العربية ، ظهر الإلحاد في العصر العباسي ليعبر عن المخالفات العقدية لثوابت الدين الحنيف ، ومن اهم هذه المخالفات الخطيرة : مسألة إنكار النبوة ، التي ابتدعها ابن الراوندي حيث شكك بعقائد الإسلام ، وأنكر النبوة كما أسلفنا، فضلاً عن إنكاره لوجود الله تعالى .

وبسبب إعلانه عن آرائه الإلحادية ، قام المفكرون في زمانه بتناول معتقداته ، ونقد أفكاره والرد على ترهاته ، لذلك يُعّدُّ الراوندي ت ٢٩٨هـ رائد الإلحاد والزندقة في النصف الأول من القرن الثالث الهجري في البلاد الإسلامية . .

قال القاضي أبو علي التنوخي: كان ابن الراوندي ملازماً لأهل الإلحاد، فإذا عوتب في ذلك قال: إنما أردت أن أعرف مذاهبهم . ومن قبله اتُّهِمَ ابن المقنع بالزندقة والإلحاد ، بسبب نشأته المجوسية على المذهب المانوي ، وتحوله الى الإسلام لأسباب تتعلق بالحفاظ على كرامته ، والجاه والتقرب من سلطة العباسيين .

أما في أوربا :

فقد أصبح الإلحاد في عهد الثورة الصناعية ، علامةً فارقة على تمجيد الاكتشافات العلمية التي أدى تعظيم أمرها الى إنكار الغيبيات ، حتى وصل بهم الأمر الى الكفر بالخالق ، وتأليه الإنسان .

(وعلى هذا اصبح الغرض من تسمية عصر النهضة : هو اكتشاف عظمة الانسان وقدرته ، وساد ما يُعرف بالأسلوب العلمي الذي يعتمد على التجربة والاختبار)

وذلك بسبب انتهاك الكنيسة للحقوق العلمية للكثير من المفكرين ، والذي أدى إلى اتخاذ موقف سلبي يعكس الاضطهاد الذي مورس على العلماء باسم الدين .

فقد نقل محمود مزروعة عن أبي الحسن الندوي قوله : (إن رجال الدين ، دسوا في كتبهم المقدسة معلومات بشرية ، وإن كانت كتبهم كلها من وضع البشر ومسلمات علمية عصرية ، تتصل بالتاريخ والجغرافية والعلوم الطبيعية ، ربما كانت أقصى ما وصل إليه العلم في ذلك الوقت ، وربما كانت حقائق لا شكَّ فيها بالنسبة لرجال ذلك العصر ، ولكنها ليست أقصى ما وصل إليه العلم الانساني ، وإذا كان ذلك غاية ما وصل إليه البشر في عصر من العصور ، فإنه لا يؤمن عليه التغير والتحول ، فإن العلم الإنساني متدرج مترقٍّ ، لا يقف عند حدٍّ معين ، ولا يثبت على حالٍ واحدة ، فمن بنى عليه دينه ، فقد بناه على كثيب من الرمال ، ولعل رجال الدين لما أدخلوا المعلومات الجغرافية والتاريخية والطبيعية في كتبهم المقدسة ، واعتبروها حقائق دينية ، لعلهم فعلوا ذلك بنية حسنة ، لكن ذلك كان أكبر جناية على أنفسهم ، وعلى الدين ، وكان سبباً للكفاح المشؤوم بين الدين والعلم الذي هو من وضع البشر هزيمة منكرة ، وسقط فيه رجال الدين سقوطاً لم ينهضوا بعده ثم أصبحت أوربّا للسبب نفسه ، دولاً لا دينية)

أما في عصر أوربا الحديث .

فقد ظهرت فلسفات وضعية ورؤى علمية ناهضت الدين ، وكل ما يتعلق به ، حيث ظهر ماركس بالإباحية والالحاد ، ثم جاء تشارلز دارون بنظرية التطور الداروينية ([1])

([1])مذهب التحول او التبدل ، يتلخص في أن الكائنات الحية في تطور دائم على أساس من الانتخاب الطبيعي وبقاء الأصلح ، وهو أي ـ داروين ـ يقرر أن الحياة وجدت على الأرض بالصدفة ، ومن

التي تنص على أن جميع أنواع الكائنات الحية تنشأ وتتطور من خلال عملية الانتقاء الطبيعي للطفرات الموروثة التي تزيد من قدرة الفرد على المنافسة والبقاء على قيد الحياة والتكاثر ، وبالتالي ، لا حاجة لوجود لوجود خالق أبدع كل هذا الكون .

ثم تبعه فريدريك نيتشه الذي جاء بفلسفة "موت الإله" التي جوبهت بشتى أنواع الأدلة العقلية والنقلية في جميع بلدان العالم ، رغم اقتناع الكثير من الجهلة وضعفاء الإيمان بها .

(وبدأت تدريجياً –وخاصّةً على يد الفيلسوف الألماني آرثر شوبنهاور (ت: ١٨٦٠م) – بروز فكرة أنّ الدين من صنيعة البشر، ابتكروه لتفسير ما هو مجهولٌ لديهم من ظواهر طبيعيّةٍ أو نفسيّةٍ أو اجتماعيّةٍ ، وتزامنت هذه الأفكار مع بحوث تشارلز داروين وكتابه (أصل الأنواع) سنة ١٨٥٩م الذي طرح فيه نظريته في النشوء والارتقاء مما زعزع القيم الدينية، وترك آثاراً سلبية في الفكر العالمي، وأعلن فريدريك نيتشه من جانبه موت الخالق الأعظم، وذهب إلى أنّ الدين فكرةٌ عبثيّةٌ، وجريمةٌ ضدّ الحياة؛ إذ إنّه من غير المعقول أن يعطيك الخالق مجموعةً من الغرائز والتطلعات، ثمّ يصدر تعاليم بحرمانك منها في الحياة ليعطيك إيّاها مرّةً أخرى بعد الموت.)

ومن أبرز أمثلة الإلحاد في العصر الحديث : ظهور الإلحاد المذهبي المتمثل بالشيوعية التي جعلت من الإلحاد ديناً رسمياً لها ، ومن المادة والمادية منهجاً للحياة وطريقاً ، وطريقاً للعيش ، في محاولة منهم لنشر القيم الفاضحة ، وهتك القوانين الأخلاقية التي نصت عليها الكتب الإلهية المنزلة .

مقولاته أن الطبيعة تخلق كل شيء ولا حدَّ لقدرتها على الخلق . ينظر : عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي ، ت ١٤٢٥هـ ، دار القلم، دمشق ، ط٢ ، ١٤١٢ هـ – ١٩٩١ م / ٣٦١.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـــــة تكريت
كلية العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين

المرحلة : الدكتوراه
المادة : الفكر الإسلامي
محاضرة : مراحل الفكر الإسلامي ٣

المرحلة الخامسة : مرحلة النهضة .

محاضرة للأستاذ الدكتور : محمد هادي شهاب

النهضة هي إحياء التراث الاسلامي الأصيل ، وتحديد واقعه الفكري المتدهور عن طريق نشر الفكر الاسلامي ، وإحياء علومه .

تظهر حقيقة النهضة في مرحلة التجديد ، عند النهوض الحضاري للأمة بعد سقوطها ، فما أن يقع الناس في غياهب الظلمات ، حتى يرسل الله تعالى اليهم من ينير لهم طريقهم ، ويصلح ما فسد ، ويقوّم ما اعوج من الواقع .

فالعرب قبل البعثة كانوا في ضلال مبين ، وعلى هذا الأساس أرسل الله سبحانه نبيه وحبيبه سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم. قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ ([1])

ولقد اختار الله تعالى أمة الاسلام المحمدية من دون الأمم لتحمل راية الاصلاح قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ

([1])سورة الجمعة ، الآية : ٢ .

ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ ([٢]) من أجل إصلاحهم والنهوض بهم .

فهذا من اسمى مظاهر النهضة ما دمنا نأمر بالمعروف وننهى عن النكر ونؤمن بالله تعالى ، وعلى هذا الاساس لن تتوقف الأمة عن المضي قدما الى الصلاح والاصلاح . ([٣])

ومن بين العلماء العاملين في هذا المجال الدعوي والمعرفي ممن اشتغلوا على مشروع النهضة الاسلامية : الإمام سعيد النورسي والأستاذ مالك بن نبي رحمهما الله تعالى .

أما النورسي ، فقد اعتمد في مشروع النهضة الإسلامي على العودة الى القرآن الكريم كركيزة اصلاحية لا مناص منها ، فضلاً عن استحضار التأسي بالشخصية المحمدية ، ومن هنا انطلق الامام النورسي ليؤسس فكراً تربوياً نهضوياً بعيداً عن فنون السياسة وآفاتها حتى عام ١٩٦٠ ، حيث أنتج جيلاً نهضوياً غايته رفعة الدين ونصرة عقيدته ، بعد ذلك اشتغل رحمه الله على الاعتماد المنطقي على المقاربة بين القرآن الكريم والآيات الكونية ، فضلاً عن الردود العلمية ضد الشبه الفكرية التي اثارها أعداء الدين ، وفي الجانب التربوي اعتمد الأساليب التربوية المتمثلة بعلم التزكية والأخلاق والتصوف ، حيث ذبَّ عن الاتهامات التي وصم بها كبار الصوفية ، كمحي الدين بن عربي ، مشيراً الى أن المنتقدين لم يفهموا اللغة الإشارية التي غابت عن أفهام الكثيرين ، وأخذ يبعث الهمة للوصول الى المعرفة الإيمانية .

([٢])سورة آل عمران ، الآية : ١١٠ .

([٣]) ينظر : اتجاهات فكرية معاصرة ، محمد هادي شهاب / ٣٠ .

يقول الدكتور رعد شمس الدين الكيلاني : إن ثقافة النورسي ارتبطت بثقافة عصره التي تقترب من التصوف في الكثير من المفاهيم ، فهو يؤمن مثلاً بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم ، في الصحوة بعد موته عليه الصلاة والسلام ، كجلال الدين السيوطي مثلاً ، يعني انه يؤمن بمفاهيم تحققت مع الامام السيوطي .

ويؤمن بوجود عالم المثال ، وهو حال نفسي يمر به الانسان ، يطابق شخوص الواقع لكنه في عالم الغيب ، وهذا الحال الذي لازم الامام النورسي يعبر عن نفسه الراقية المترفعة عن الطعن أو الاعتداد بالنفس . (٤)

لقد اكتمل مشروع النورسي في اطار الوحدة الاسلامية القائمة على احترام الآراء والعودة الى منهج الرحمة والمحبة مع الآخرين .

وأما مالك بن نبي رحمه الله ، فقد دعا الى نهضة الأمة الإسلامية معتمداً على طروحاته التي تقضي بأن يعيش المسلمون بعقلية واقعهم المعاصر ، وليس بعقلية الزمن السابق ، وعدَّ هذا الأمر من أهم شروط بناء المجتمع الاسلامي ، والذي عبَّر عنه بمنح الزمن قيمته المثلى .

وقد ذكر هذه الشروط الكاتب محمود رأفت ، وهي : بناء الإنسان ، والمحافظة على المكان ، وإعطاء قيمة للزمن ، وهي شروط لم تتوفر لدى العرب والمسلمين ورغم انتقاد بن نبي للغرب ووجهه الاستعماري، وكشفه خلفيات الصراع الفكري مع الغرب الرامي إلى تعطيل المشروع الحضاري الإسلامي، فإنه أنصف الغرب في أحكامه، فلم ينكر دوره

---

(٤) ينظر : الكلمات ـ رسائل النور ـ ، سعيد النورسي ، ترجمة : احسان الصالحي ، دار سوزلر ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٥م / ٥٦٢ . وينظر : الفكر الاسلامي النشأة والتطور والتحديات المعاصرة ، د. رعد شمس الدين الكيلاني ، دار الأندلس ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٧ / ١٢٠ .

وإسهامه في البحث العلمي وتوفير أسباب الراحة المادية للبشرية، ولم يرَ مانعًا من التعاون مع الغرب على قاعدة الاحترام المتبادل (٥)

لقد جاء مشروع مالك بن نبي بالنهضة الحديثة بعد أن شخص مرض الأمة ووضع لها العلاج الأمثل ، وذلك عن طريق تركيب عناصر ثلاثة حددها بنفسه .

وهي : ـ أ. الإنسان . ب . التراب . ت . الزمن .

وسنتكلم عن كل عنصر من عناصر الحضارة كما يأتي : (٦)

(أ) " الإنسان " :

يحدد مالك الانسان كعامل بارز في صناعة الحضارة ، فبتحركه يتحرك المجتمع وتتبلور رؤى التأريخ ، والعكس صحيح ، والانسان العنصر الاول : يعطي العنصرين الآخرين القيمة الحضارية والتاريخية بتفاعله مع العناصر المادية التي يتضمنها التراب ، وقبل كل شيء فإن الانسان هو الزارع الاول لشجرة الحضارة ، غير ان الانسان اخذ يعاني من الجمود والخذلان عن مواصلة ركب الحضارة الانسانية ومن خلال نظريته هذه فإن مالكاً يحدد رجالا يمشون في التاريخ مستخدمين التراب والوقت والمواهب من اجل بناء اهدافهم الكبرى .

---

(٥) ينظر : مقال بعنوان : مالك بن نبي وسبل نهضة العالم الإسلامي ، للكاتب محمود رأفت ، منشور على النت ، موقع نون ، بتاريخ ٣٠ سبتمبر / ٢٠١٥ .

(٦) ينظر : اتجاهات فكرية معاصرة ، محمد هادي / ٣١ ـ ٣٥ . نقلاً عن : شروط النهضة ، مالك بن نبي ، إشراف ندوة مالك بن نبي ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٩٨٦ ./٨١ ـ ٨٤ .

ويرى مالك رحمه الله إن الانسان في القرن العشرين يستطيع ان يؤثر في المجتمع بمؤثرات ثلاث وهي : الفكر والعمل والمال ، فإنه من الواجب ان يلاقي توجيها يضمن له تأثيره الايجابي في الحضارة .

والتوجيه ـ عند مالك ـ هو : " قوة في الأساس, وتوافق في السير ووحدة في الهدف؛ فكم من طاقات وقوى لم تستخدم لأننا لا نعرف كيف نكتّلها, وكم من طاقات وقوى ضاعت فلم تحقق هدفها , حين زاحمتها قوى أخرى صادرة عن المصدر نفسه متجهة إلى الهدف نفسه ، فالتوجيه هو تجنب هذا الإسراف في الجهد وفي الوقت, فهناك ملايين السواعد العاملة العقول المفكرة في البلاد الإسلامية صالحة لأن تُستخدم في كل وقت, والمهم هو أن ندير هذا الجهاز الهائل في أحسن ظروفه الزمنية والإنتاجية لكل عضو من أعضائه. وهذا الجهاز حين يتحرك يحدد مجرى التاريخ نحو الهدف المنشود, وفي هذا تكمن فكرة توجيه الإنسان الذي تحركه دفعة دينية, وبلغة علم الاجتماع : الذي يكتسب من فكرته الدينية معنى الجماعة ومعنى الكفاح."[1]

(ب) التراب :.

أما عنصر "التراب" فيعني به مالك الإمكانات الطبيعية أو الوسائل المادية اللازمة لتكوين الحضارة. وهو يتكلم عنه من حيث قيمته الاجتماعية والتي تُستمد من قيمة مالكيه؛ فحينما تكون الأمة مرتفعة وحضارتها متقدمة يكون التراب غالب القيمة, وحيث تكون الأمة متخلفة يكون التراب على قدرها من الانحطاط, وهذا هو حال التراب في أرض الإسلام اليوم, بسبب تأخر القوم الذين يعيشون عليه. فها هي رمال الصحراء

(١) ينظر : المصدر السابق .

تغزو الأراضي الخضراء على امتداد البلاد الإسلامية ونحن نقف إزاء هذا الغزو موقف الضعيف الجبان؛ فنقوم بالفرار من هذه الأراضي إلى غيرها بدلاً من أن نبحث عن حل عملي نواجه به تلك المشكلة التي تهدد كياننا. مع أن الحل يسير لا يحتاج سوى أن ننتصر على أنفسنا الخاملة الكسولة فنقوم بغرس الأشجار لنوقف غزو الرمال على أراضينا, مثلما فعلت فرنسا وروسيا وهولندا من قبل. وعندئذ نكون قد انتصرنا على أنفسنا وعلى أهوال الطبيعة. ونكون قد أخضعنا التراب ومهدنا فيه لحضارتنا, ولم نعد نخاف نوائب الزمن . (٧)

(ت) "الزمن" : يصفه مالك بأنه نهر قديم يعبر العالم, ويروي في أربع وعشرين ساعة الرقعة التي يعيش فيها كل شعب والحقل الذي يعمل به. ولكنه نهر صامت حتى أننا ننساه أحياناً, وتنسى الحضارات ـ في ساعة الخلوة أو نشوة الحظ, قيمته التي لا تعوض. كما هو الحال في العالم الإسلامي الذي لا يدرك قيمة الوقت, ولا يعرف الآن فكرة (الزمن) الذي يتصل اتصالاً وثيقاً بالتاريخ, مع أن فلكيًّا عربيًّا مسلماً هو أبو الحسن المراكشي يعد أول من أدرك هذه الفكرة الوثيقة الصلة بنهضة العلم المادي في عصرنا. ولذلك طرح مالك فكرة أن نتبع أسلوبًا تربويًّا يساعد على غرس قيمة الزمن في العقل الإسلامي, أي في أسلوب الحياة في المجتمع وفي سلوك أفراده, يتمثل في تعليم الطفل والمرأة والرجل تخصيص نصف ساعة يوميًّا لأداء واجب معين لمصلحة المجتمع , فإذا حدث ذلك سيكون لدى كل فرد في نهاية كل عام حصيلة

(٧) ينظر : المصدر نفسه .

هائلة من ساعات العمل لمصلحة الحياة الاجتماعية في جميع أشكالها, وسترتفع كمية حصادنا العقلي واليدوي والروحي؛ وهذه هي الحضارة . ([٨])

فيجب اغتنام الفرص من الحياة من أجل العطاء فإدراك قيمة الوقت فرداً وجماعة هو إدراك لقيمته التي لا تعرض في العملة الوحيدة التي لا تسترد إذا ضاعت إن العملة الذهبية يمكن أن تضيع وأن يجدها المرء بعد ضياعها، ولكن لا تستطيع أي قوة في العالم أن تحطم دقيقة ولا أن تستعيدها إذا مضت . ([٩])

فكل منتج من المنتجات الحضارية تتكون من هذه العناصر الثقة.

ويرى مالك أن الكلمة تعتبر منتوجاً حضارياً ، ثم يقول: (فأنا حينما أحاول التخطيط لحضارة فليس على أن أفكر في منتجاتها، وإنما في أشياء ثلاثة). ([١٠])

ومع ذلك يبين مالك أن هذه العناصر الثلاثة لا تستطيع القيام منفصلة ، وإنما وجب ان يتوفر عامل يجمعها ويمزجها سويا ، وهو " المركب الحضاري " وهذا المركب الذي يرافق الحضارة والتاريخ ويمزج عناصر بنائها وهو سبب نجاحها هو " العقيدة الدينية ، فالحضارة : (لا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي يهبط من السماء يكون للناس شرعة ومنهاجًا, أو هي ـ على الأقل ـ تقوم أسسها في توجيه الناس نحو معبود غيبي بالمعنى العام, فكأنما قدر للإنسان ألا تشرق عليه شمس الحضارة إلا حيث يمتد نظره إلى ما

([٨])ينظر : اتجاهات فكرية معاصرة ، د. محمد هادي شهاب ، نقلاً عن كتاب : بين الرشاد والتيه ، مالك بن نبي ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٩٧٨م / ٥٩ .

([٩])شروط النهضة / ١٤٥ـ ١٤٦ .

([١٠])تأملات ، مالك بن نبي ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٩٧٧م . / ١٧١.

وراء حياته الأرضية. وينطبق ذلك على الحضارة البوذية, والحضارة البرهمية .. وكذلك على الحضارة الغربية, والتي يبرز أثر الفكرة المسيحية في تركيبها.) ([11])

أما بخصوص الحضارة الإسلامية فإن أثر الإسلام فيها أشد وضوحاً وأوثق ارتباطًا فقد كانت عناصر الحضارة في جزيرة العرب راكدة خامدة مكدسة لا تؤدي دوراً ما في التاريخ , حتى إذا ما تجلت الروح بغار حراء , نشأت من بين هذه العناصر المكدسة حضارة جديدة, فكأنما ولدتها كلمة «اقرأ» التي أدهشت النبي الأمي وأثارت معه وعليه العالم. فمن تلك اللحظة وثبت القبائل العربية على مسرح التاريخ, حيث ظلت قرونًا طوالاً تحمل للعالم حضارة جديدة, وتقوده إلى التمدن والرقي. ([12])

([11])اعلام وأفكار : مالك بن نبي ، للكاتب : حازم علي مزهر / ٨ .

([12])ينظر :اتجاهات فكرية معاصرة ، د.محمد هادي التكريتي ، نقلاً عن : شروط النهضة ، مالك بن نبي / ٥٧.

المرحلة الثالثة : مرحلة هيكلة المجتمع الاسلامي .

محاضرة للأستاذ الدكتور : محمد هادي شهاب

هذه المرحلة فرضت نفسها بعد سلبيات مرحلة التكوين التي شابها التعصب الفكري ، والتي ألقت بشرورها على عاتق المجتمع بكل مكوناته .

ولا ننسى ما جرى من حروب صليبية راح ضحيتها الكثير من المسلمين ، مما أدى إلى توقف عجلة المعرفة في بلاد الإسلام ، فضلاً عن مخلفات الحالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

لقد أتاحت هذه الأحداث للمرحلة الثالثة فرصةً بالغة الأهمية ، حيث تم من خلالها تخطي الحالة التقليدية ، وأخذت تقدم الحلول الناجعة للمشاكل العالقة في المجتمع المسلم ، بل إنها كانت مرحلة ناضجة ، استوعبت المشاكل الفكرية ، وأزاحت ظلام الماضي ، بضياء الفكر والابداع .

وفي هذه المرحلة تخطى المسلمون سلبيات المراحل السابقة ، والتي كانت تعبر عن واقعية فكرها ونمط معرفتها ، ولم تعد مخلفات الماضي تؤثر بقدر الهمة التي اجتاحت الفكر الإسلامي .

المرحلة الرابعة : مرحلة التجديد والاصلاح .

في بداية القرن العشرين ، بدأت مرحلة التجديد والاصلاح بدايةً عملية ، كان هدفها إزالة الأوهام والأفكار المريضة من حياة الأمة المسلمة التي عانت في مراحلها التاريخية السابقة من تردٍّ للأوضاع الاقتصادية والمعرفية والعلمية والحضارية .

ولأهمية هذا الموضوع كان لزاماً علينا تعريف هذا المصطلح وبيان حكمه الشرعي.

تعريف التجديد :

التجديد في اللغة كلمة مشتقة من الجِدَّة ، وهي نقيض البلى ، وجدَّ يجدُّ .. صار جديدا ، وعلى ذلك فالتجديد إعادة الشيء البالي الى وضعه الطبيعي ، أي تصييره جديدا .

أما في الاصطلاح ، فلنا فيه معنيان أو اتجاهان :.

الأول : الاتجاه الذي يتفق مع التعريف اللغوي ، وبالتالي لا نعني بالتجديد رفض كل قديم والاتيان بكل جديد ، فهو ليس اسقاطاً للقيم والمباديء الاسلامية ، وإنما : العودة بالمسلمين الى الأصل ، والتمسك بالثوابت ، وبناء مجتمع مسلم قائم على الجوهر الأول الذي اعتمده العهد الأول من الصحابة ، ومن جاء بعدهم من التابعين لإصلاح المفاهيم المشوهة ، وتصفية وتنقية الفكر الاسلامي ، وإثبات أحقيته بالإتباع .

أما الاتجاه الثاني : فيقضي بإعادة وتأصيل المفاهيم الاسلامية الأصيلة بنظرة واقعية تتلاءم والواقع العالمي المعاصر ، فالتجديد وفق هذه الرؤية لا يعني تقديم فكر اسلامي جديد ، ولا إحياءً للفكر الاسلامي القديم ، بل هو تفاعل عملي في إعماق الفكر القائم ، من أجل تجديده ، أي : إعادة حقيقته وتطوير سلوكياته وفقاً لما تقتضيه حاجات العصر الراهن .

وهناك اتجاه ثالث وهو الاتجاه الذي يستهدف تطور الفكر الاسلامي وفقاً للمضمون وتحسين وسائله وأنماطه المختلفة .

فالتجديد وفقاً لهذا الاتجاه : نهضة وإصلاح ونقلة نوعية من الغريزة الانسانية بشكل عام ، إلى العقل الاسلامي الواعي .

وفي خاتمة هذه الاتجاهات الفكرية ، نقول :

إن أهم ركيزة قام عليها المفكرون في شتى الاتجاهات هي : الارتباط الكلي بجذور الاسلام الصحيحة ، والحفاظ على هوية إسلامية راسخة تستطيع أن تقف بوجه الفلسفات الوضعية والأفكار الطارئة الدخيلة ، فكل فكر فاسد أو طارئ ، نحتاج الى مناهضته اسلاميا ، مع التزامنا بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

ويعتبر الامام محمد عبده المصري ت ١٩٠٥م ، إمام المدرسة العقلية الحديثة في التفسير هو المنظر الرئيس لهذه المدرسة ، والأب الفكري لها .

ويعد العقل العنصر المعرفي الذي يقوم علي منهج مدرسة الاصلاح :

حيث يرتكز منهج الاصلاح والتجديد على العقل الذي يعتمد على ظاهر القرآن الكريم حيث يتم فهم النص حسب ما ورد ، وبخلافه تكون العودة الى التأويل من اجل الوصول الى الحقيقة المنشودة .

ويكمن فهم النص من خلال ما يأتي :

أ. فهم الألفاظ القرآنية ، كما جاءت ضمن تسلسل أحداث وأسباب النزول .

ب . فهم أساليب القرآن البلاغية وهو ما يستدعي علم البيان ، فضلاً عن الاعراب .

ج . فهم المقصود من الآية القرآنية ، وما استحسنه الشارع وما قبحه حسب الحوادث الواردة في النص .

د. الاطلاع على سيرة وآثار النبي محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

هـ . الاطلاع على احوال المخاطبين في عهد النبي محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، فضلاً عن الاهتمام بنقد الحديث عن طريق المتن وليس عن طريق الرجال والأسانيد .

و. الاعتماد على علم الاجتماع وعلم النفس وغيرها من العلوم الحديثة في فهم النص وبالتالي النهوض بواقع الأمة حسب ما يمليه الواقع المعاصر وليس حسب الماضي ، على أساس أن الفكر الاسلامي جاء منفتحاً على العالم ولم يغلق الباب للتطور.([1])

أما الاصلاح الذي ارتبط بالتجديد ، فقد قام على ثبات الحركة الاصلاحية ومسايرتها للواقع المعاصر ، في سبيل إثبات أن الإسلام منهج حياة يصلح للتطبيق في كل زمان ومكان .

لقد تم طرح مفهوم الاصلاح على أنه حركة نشأت في داخل الفكر الاسلامي من أجل تنقية الفكر الاسلامي مما طرأ عليه من أخطاء منهجية وتصورات مريضة واتجاهات مليئة بالعواطف المبتدعة ، بسبب انتشار الجهل والتخلف .

([1]) كتابنا : اتجاهات فكرية معاصرة ، أ.د. محمد هادي شهاب التكريتي ، الدار المنهجية ، عمان ، ط١ ، ٢٠٢٠م./ ٢٨ . ٢٩ .

كل ما سبق جعل الكثير من المصلحين مندفعين لصقل هذا الواقع المرير عن طريق طرح أفكارهم التجديدية والاصلاحية ، فكان شعارهم التغيير للأفضل بعد حصول الأخطاء التي شوهت معالم الفكر الاسلامي .

وبالرغم من أن البعض قد فرّقَ بين مفهومي الاصلاح والتجديد من حيث اختلاف ركائز كل منهما ، فركيزة الاصلاح : التغيير ، وركيزة التجديد : القراءة الواعية للفكر الاسلامي ، والعودة الى منابع الإسلام الصافية .

غير أن الواضح أن المصطلحين يذهبان الى نتيجة واحدة ، وهي إنتاج فكري اسلامي ومجتمع مثالي يصلح لقيام المسلمين بدورهم الحضاري .

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـــــة تكريت
كلية العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين

المرحلة : الدكتوراه
المادة : الفكر الإسلامي
محاضرة : مراحل تطور الفكر الإسلامي .

مراحل تطور الفكر الإسلامي .

محاضرة للأستاذ الدكتور : محمد هادي شهاب

المرحلة الأولى : مرحلة النشأة .

حيث بدأ الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عنهم يستنبطون آراءهم من الوحي الشريف ، علماً أنها لم تكن مرحلة فكر بالمعنى الكامل ، لأن الوحي المبارك كان غنياً عن الآراء البشرية ، ومع ذلك يمكننا أن نعدها مرحلة جمع وإعداد للعلوم الشرعية من قبل الصحابة ، ليتمكنوا فيما بعد من طرح آرائهم بعد مرحلة الوحي الإلهي ، أي بعد انتقال النبي صلى الله عليه وسلم الى بارئه جل جلاله ، فقد كانت أسئلة سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، واستشاراته لهم في الأمور الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية بمثابة اختبار صريح ، يُعلم من خلاله استعدادهم لحل المشاكل التي ستطرأ عليهم بعد عهد النبوة .

ففي مجال القضاء : أرسل حضرة النبي صلى الله عليه وسلم سيدنا معاذَ ابن جبل الى اليمن ، وقال له : (أَرَأَيْتَ إِنْ عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ كَيْفَ تَقْضِي؟ قَالَ: أَقْضِي بِكِتَابِ الله، قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي كِتَابِ الله, قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ الله صَلى الله عَليهِ وسَلم، قَالَ: فَإِنْ لَمْ

يَكُنْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ الله, قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَلَا آلُو, قَالَ: فَضَرَبَ صَدْرَهُ ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّه الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ الله لِمَا يُرْضِي رَسُولَ الله)([1])

ولنا مع سيدنا عمر رضي الله عنه موقف آخر في موافقة القرآن الكريم لرأيه وتفكيره حيث روى البخاري عَنْ أَنَسٍ قَالَ : قَالَ عُمَرُ وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلاَثٍ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى فَنَزَلَتْ ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ ﴾ وَآيَةُ الْحِجَابِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ ، فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُنَّ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ.([2])

أما في الموقف العسكري فقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم ، مشاورات حكيمة مع أصحابه الكرام ، ليؤسس لمبدأ الشورى ، ويمنحهم الدور القيادي في نصرة الحق على الباطل .

قال ابو هريرة رضي الله عنه : (ما رأيت أحداً أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم) ([3])

([1]) سنن الدارمي ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي ، ت ٢٥٥هـ ، تحقيق : نبيل هاشم الغمري ، دار البشائر ، بيروت ، ط١ ، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م / ١ : ١٣٦ .

([2])صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله ، ت ٢٥٦هـ ، دار الشعب ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧/ ١ : ١١١ .

([3])صحيح ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي ، ت ٣٥٤هـ ، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي ، ت ٧٣٩ هـ ،

فما رواه اهل السير قبيل معركة بدر أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم شاور اصحابه لبيان موقفهم ورأيهم عندما أَتَاهُ الْخَبَرُ عَنْ قُرَيْشٍ بِمَسِيرِهِمْ لِيَمْنَعُوا عِيرَهُمْ، فَاسْتَشَارَ النَّاسَ، وَأَخْبَرَهُم عَنْ قُرَيْشٍ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، فَقَالَ وَأَحْسَنُ. ثُمَّ قَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ وَأَحْسَنُ، ثُمَّ قَامَ الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، امْضِ لِمَا أَرَاكَ اللَّهُ فَنَحْنُ مَعَكَ، وَاَللَّهِ لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا، إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ ، وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمَا مُقَاتِلُونَ، فو الّذي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ سِرْتَ بِنَا إِلَى بِرْكِ الْغِمَادِ (٤) لَجَالَدْنَا مَعَكَ مِنْ دُونِهِ، حَتَّى تَبْلُغَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرًا، وَدَعَا لَهُ بِه . (٥)

إن هذه المشورة كشفت للنبي صلى الله عليه وسلم ، رجاحة عقل أصحابه العدول الثقات الشجعان ، بخلاف قوم نبي الله موسى عليه السلام الذين رأوا أن القتال معه أمر يؤدي بهم الى الهلاك ، فكان رأيهم غير سديد ، ولم يصلح للأخذ به في كل مجال من مجالات الحياة .

وفي معركة أُحد كان رأي النبي صلى الله عليه وسلم أن يتحصن المسلمون في المدينة ، ويقاتلون من خلف الجدران لتحقيق النصر ، وكان رأي اغلب الصحابة الذين طلبوا الشهادة

حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م / ١١ : ٢١٧ .

(٤)معجم البلدان ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، ت ٦٢٦هـ ، دار صادر، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٥م./ ١ : ٣٩٩ .

(٥)السيرة النبوية لابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين ، ت ٢١٣هـ ، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط٢ ، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م / ١: ٦١٤ـ ٦١٥ . وينظر : الدر المنثور ، السيوطي ، ٩١١هـ ، دار الفكر ، ط١ ، ١٩٩٣م/٤ : ٢٦ .

في سبيل الله أمثال النعمان بن مالك رضي الله عنه ، وإياس بن عتيك من بني عبد الأسهل ، وخيثمة أبو سعيد بن خيثمة ، كان رأيهم الخروج الى المشركين وملاقاتهم للنيل منهم ، فأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم برأي أصحابه ثم قامت المعركة كما يعلم الجميع .

ولا ننسى رأي سلمان الفارسي رضي الله عنه في معركة الخندق واستحسان النبي صلى الله عليه وسلم لفكرته ، وبالتالي أمر بتنفيذها ، ليكون رأي سلمان سبباً في النصر في تلك الغزوة .

أما في الامور الاجتماعية والاقتصادية ، فكان رأي الصحابة حاضراً في أقرب الأمور ، ومنها أخذه صلى الله عليه وسلم برأي سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة رضي الله عنهما ، في عدم إعطاء ثمار المدينة لغطفان .

وفي الحقيقة لم يكن الصحابة ليعطوا رأياً بقصد مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم متوقفاً على رأي أحد منهم ، فهو وحي يوحى .

إنما كان ذلك إيذاناً منه صلى الله عليه وسلم بأن تكون لأصحابه قاعدة فكرية اجتهادية تؤسس للمرحلة الأولى من مراحل الفكر ، ألا وهي مرحلة نشأة الفكر الإسلامي .

المرحلة الثانية : مرحلة التكوين .

هذه المرحلة جاءت بتراث فكري وتأريخي لآراء الصحابة رضي الله عنهم في حضور النبي صلى الله عليه وسلم ، أعقبت النشأة والتأصيل لانطلاق الفكر والرأي .

في هذه المرحلة انبثق الإشعاع الفكري لأغلب الاتجاهات الفكرية الإسلامية ، وشع نور مدارسها العلمية ، حتى بدت مذاهب الفقه والعقيدة والفكر السلوكي والإصلاحي بدت ظاهرة للعيان .

إن هذه المرحلة اكتسبت الاستقرار النسبي ، حيث لم يعد ما يخفى على المذاهب والمدارس الفكرية الأخرى ، فكل مدرسةٍ ظهرت بحسب صبغتها المعرفية ، وكل اتجاه فكري أو عقدي قد بدا حسب معالمه التاريخية ، وظهر له اتباع ومؤيدون عملوا على تأصيل مصادره المنهجية ، حتى باتت سمات كل مدرسة واضحة جلية.

يقول محمد البهي : (إن كل الاتجاهات الفكرية ومدارس الرأي المختلفة في الفقه والعقيدة والتصوف ، قد وضحت وتميز بعضها عن بعض ، وعرف لها أنصارها وأتباعها ، ورسمت لها خطوط الجدل والنقاش ، وأصول الاستنباط ، ومناهج الشرح والتوفيق إلى غير ذلك مما تتصل بتحديد الفكر في مصادره وأهدافه ، وفي طريق سيره من بدايته الى بلوغ غايته) ([٦])

كانت أهم أسباب هذه الاتجاهات : الحالة السياسية ، والفوضى الاجتماعية ، التي شتتت الأفكار ، وبعثرت الرؤى ، لولا قيام كل فئة بطرح بضاعتها العلمية للوصول إلى أذهان الناس ، والحصول على القبول .

([٦])الفكر الاسلامي في تطوره ، محمد البهي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨١م/ ٢٩ .

فضلاً عن تأثر الفكر الفلسفي الإسلامي بما قُدِّم الى المجتمع الاسلامي من بلاد الغرب ، كالفلسفات الوثنية والإغريقية ، مما أدى إلى نشوء فكر فلسفي في مواجهة تلك الهجمة .

في حين قام الفقهاء بإنشاء مدارس الرأي والاجتهاد ليؤطروا المجتمع بأطر الحضارة العريقة والثقافة الخالدة ، مما أشار الى التفوق الفكري ، والصدارة والابداع العلمي .

ولو لم تصل الأصالة في الفهم الى تقليد جارف ، لما وقفت حركة البناء الفقهية ، ولما وقعت بعد هذا الوقوف تلك الإنفصالية في حياة المسلم بين سلوك يأخذ مجراه تحت تأثير ظروف الحياة نفسها ، وبين الاسلام الذي تجمدت روافده ، بحيث لم تعد تسير مع السلوك جنباً الى جنب ، أو بحيث لم تعد تمنح الانسان المسلم المساعدة في التوجيه وفي طبع هذا السلوك بطابع إسلامي . [٢]

ومن سلبيات تلك المرحلة :

ما حصل من تعصب للأفكار الدخيلة ، وتشنج في المواقف العقدية والفقهية بسبب الغارات العسكرية التي مزقت شمل المسلمين ، وأطاحت بقوتهم المعنوية ، وفي النهاية وصول المسلمين إلى الضعف والهوان بعكس ما حصل في بداية الأمر من رقي في الأفكار والمواقف ، فكانت نهاية هذه المرحلة مزيداً من الانشقاقات في الصف الاسلامي ، وتدهوراً للأوضاع الاقتصادية ، وضياع للحقوق والواجبات التي أمر الاسلام بصيانتها .

---

[٢] المصدر السابق .